

أضواء جديدة عن الجمل في الفن المصري القديم

د. حسني عمار

اعتبر الجمل سفينة الصحراء لما يتميز به من قدرة عالية في التأقلم على الحياة الصحراوية وقطع المسافات الطويلة، نظراً لما حباه الله من خصائص فسيولوجية تساعده على تخزين الطعام والشراب من ناحية، وتحمل الجوع والعطش لفترة طويلة من ناحية أخرى. ولذا فقد ضرب الله تعالى به المثل وجعله آية في الخلق فقال في محكم آياته "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت"¹

وتعتبر صورة الجمل من الهياكل الحيوانية النادرة في الفن المصري القديم، والتي ربما تكون قد ظهرت لوجود هذا الحيوان في صحراوات مصر أو في جنوبها، أو نتيجة لاتصال المصريين بجيرانهم الآسيويين ولأسيما في شمال غرب الجزيرة العربية. وقد ظهرت تلك الهيئة على فترات متباعدة في الفنون المصرية سواء في النقوش والرسوم الصخرية أو على هيئة دمي وتمائيل صغيرة. ولكن لا زال تأريخ بعض هذه الأعمال الفنية محل خلاف بين الباحثين، ولأسيما ما يتعلق منها بالفترات التاريخية السابقة على العصر اليوناني الروماني. فأغلب الأعمال الفنية التي تصور الجمل عبارة عن تماثيل صغيرة الحجم أو رسوم صخرية يصعب تأريخها في ظل غياب صورة الجمل في النقوش المصورة على جدران المقابر والمعابد المصرية القديمة؛ بالإضافة إلى تأخر ظهور اسم الجمل في النصوص المصرية القديمة. ويمكن تتبع صورة الجمل في الفنون المصرية على مر العصور كما يلي:

العصور الحجرية

لم يظهر الجمل في الفنون المصرية بمختلف أنواعها في الحقب الزمنية الطويلة التي سبقت عصر ما قبل الأسرات. فلم تظهر صورة الجمل ضمن الهياكل الحيوانية المصورة في الرسوم الصخرية المؤرخة بالعصر الحجري القديم الأعلى (بداية ظهور النقوش والرسوم الصخرية في مصر). وذلك على الرغم من وجود عظام الجمل في مصرفي بعض المواقع الأثرية المؤرخة بالعصر الحجري القديم والوسيط. فقد كشفت الحفائر في الموقع BT-14 بمنطقة بير طرفاوي على بعد حوالي

• كلية الآثار جامعة القاهرة

¹ القرآن الكريم، سورة الغاشية، الآية ١٧. استُخدمت كلمتي إبل وجمل للتعبير عن هذا الحيوان في اللغات القديمة بمنطقة الجزيرة العربية والشرق الأدنى. ولاحظ اللغويون أن لفظة الإبل ظهرت وشاعت في وسط وجنوب الجزيرة العربية (الشمودية والسبئية ثم العربية)، بينما ظهرت لفظة الجمل في شمال الجزيرة ومنها إلى بلاد الشام في الأرامية والعبرية وغيرها، ثم انتقلت إلى المصرية واليونانية واللاتينية. انظر: حمد محمد بن صراي، الإبل في بلاد الشرق الأدنى القديم وشبه الجزيرة العربية، الجمعية التاريخية السعودية، جامعة الملك سعود ١٩٩٩، ص ١-٢.

٣٥٠ كم من نهر النيل بصحراء مصر الغربية، على كميات ضخمة من العظام الحيوانية، كان منها عظام الجمل، والتي أرخت بواسطة كربون ١٤ بحولي ٤٣٠٠٠ ق.م.^٢ كما لم تظهر صورة الجمل في فنون العصر الحجري الحديث والنحاسي سواء على السطوح الصخرية أو في الفنون التشكيلية الأخرى التي بدأ مولدها مع العصر الحجري الحديث، وتطورت خلال العصر الحجري النحاسي. والجدير بالذكر وجود حفريات للجمل من عصر البلايستوسين إلى الشرق من مصر في الجزيرة العربية وبلاد الشام^٣. وقد انعكس ذلك من خلال تصوير الجمل ضمن النقوش والرسوم الصخرية على صخور منطقة كلوة في شرق الأردن والمؤرخة بالعصر الحجري الوسيط^٤. كما وُجدت حفريات للجمل أيضاً إلى الغرب من مصر في شمال أفريقيا خلال عصر البلايستوسين، واستمر وجود هذا الجمل في شمال أفريقيا حتى الألف الثامن قبل الميلاد^٥. وعُثر في الصحراء الأفريقية إلى الجنوب من ليبيا على صور تدل على استئناس الجمل منذ العصر الحجري الحديث^٦. ومعنى ذلك أن الجمل كان موجوداً في المناطق المحيطة بمصر شرقاً وغرباً منذ عصر البلايستوسين، وإن كان وجود حفريات له في داخل مصر ما زالت نادرة في حدود ما تم الكشف عنه حتى الآن.

عصر ما قبل الأسرات

يُعد عصر ما قبل الأسرات (٤٠٠٠-٣١٠٠ ق.م) من العصور المميزة في تاريخ الحضارة المصرية القديمة، بل وربما يكون أكثرها إبداعاً. حيث وُضعت خلاله العديد من أسس وقواعد مفردات الحضارة المصرية، ولاسيما ما يتعلق منها بخصائص الفن المصري. حيث تميزت الفنون المصرية منذ أواخر هذا العصر على اختلاف أنواعها بقواعد وتقاليد فنية ثابتة ومرنة من ناحية، وبوحدة موضوعاتها وتمثيلها لأغلب المفردات والموضوعات في البيئة المصرية من ناحية أخرى. وظهرت هيئة الجمل كعمل فني تشكيلي لأول مرة في مصر خلال عصر ما قبل الأسرات فيما هو معروف حتى الآن. حيث كشفت حفائر جامعة القاهرة في

² Hoffman, M., Egypt Before The Pharaohs, New York 1979, p.68; Schild, R. and Wendorf, F., New Explorations in the Egyptian Sahara, in Problems in Prehistory: North Africa and the Levant, ed. By Fred Wendorf, and Anthony Marks, Dallas 1975, p.93; Wendorf, F., The Prehistory of the Egyptian Sahara, Science 193, 1976, p.106.

³ Ripinsky, M., Pleistocene Camel Distribution in The Old World, Antiquity 56, 1982, pp. 48-50.
⁴ الهاشمي، رضا جواد، تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الأثرية والكتابات القديمة، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد ٢٣، ١٩٧٨، ص ١٩٨.

⁵ Ripinsky, M., Pleistocene Camel, pp.48ff.

⁶ Dalloni, M., Palethnologie, in Mission au Tibesti II, Mémoires de l'Académie des Sciences 62, Paris 1962, pp. 314- 329.

المعادى على قطعة من الصلصال المحروق من المحتمل أنها تمثل رأس جمل^٧، غير مكتملة وبها آثار للون أحمر ربما يمثل لجام الجمل^٨. وهذه الرأس محفوظة في متحف جامعة القاهرة (لوحة ١).

كما تُوجد بمجموعة "والتر آرت جاليري" رأس تمثال لجمل من العاج غير معروف مكان اكتشافه، وتُورخ بأواخر عصر ما قبل الأسرات (لوحة ٢)^٩. ويبلغ طول الرأس ٤,٧ سم، وهي مكسورة عند العنق. ويلاحظ أن العينين مجوفتان مما يشير إلى احتمال تطعيمها بمادة أخرى. وإذا صح ذلك فهي تُعد محاولة من الفنان لإضفاء نوع من الحيوية على هذه القطعة الفنية. والجدير بالذكر أن تطعيم عيون التماثيل في مصر ربما ظهر قبل ذلك في حضارة البداري^{١٠}. وتؤكد ذلك في العديد من تماثيل عصر ما قبل الأسرات، سواء كانت حيوانية أو آدمية ولاسيما تلك المشكلة من العاج^{١١}.

ويُوجد في متحف برلين لوحة حجرية سوداء اللون (رقم ٢٢٦٩٧)، مكان اكتشافها غير معروف، ومؤرخة بعصر ما قبل الأسرات، تمثل جملاً باركاً، سُكلت أرجله مثنية أسفل منه. ويظهر من ملامح الوجه الفم وهو عبارة عن خط محزوز، والعينان مجوفتان، مما يُحتمل أنهما كانتا مطعمتين بمادة مختلفة. ويُلاحظ أن الظهر محدب والذيل قصير^{١٢}.

⁷ Rizkana , I. and Seeher , J., Maadi III : The Non-Lithic Small Finds and the Structural Remains of the Predynastic Settlement , Mainz am Rhein 1989 , pp.11-12 , pl. I: 3,5.

⁸ Menghin, O. and Amer, M., The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic site at Maadi, Cairo 1932, p.33, pl.20:2-3.

⁹ رضا سيد أحمد : العاج والمصنوعات العاجية في مصر القديمة حتى نهاية العصر العتيق، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآثار جامعة القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٦٦ ، صورة ٨٨ .

Steindorff , G., Catalogue of Egyptian Sculpture in the Walter Art Gallery , Baltimore 1946 , p.20 , pl. I

¹⁰ رينيس، بياتريكس ميدان، عصور ما قبل التاريخ في مصر، مترجم، القاهرة ٢٠٠١، شكل ٤ب.

¹¹ عمار، حسني، فن تشكيل ونحت التماثيل منذ أواخر عصور ما قبل التاريخ وحتى بداية الأسرة الثالثة، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة القاهرة ٢٠٠٦، انظر اللوحات ٥٨ وما بعدها؛

cf. Steindorff, G., Catalogue of the Egyptian sculpture, p. 19, pl. I: 1.

¹² Scharff, A., Die Altertümer der Vor-und Frühzeit Aegyptens II, Berlin 1931, p. 71, pl.21:103 هناك لوحة أخرى محفوظة في متحف تورين بإيطاليا مشكلة من الفخار تمثل رجلاً فوق جمل ويقوده رجل آخر، وقد أرخ البعض هذه القطعة بعصر ما قبل الأسرات.

ber die Darstellung eins Kamelreiters aus der Ücf. Keimer, L.,

□gyptischen Frühzeit, Kêmi II, 1929, p.87f., pl.4.

ولكن طبيعة الموضوع الذي تمثله هذه القطعة الفنية لا تتماشى مع الموضوعات الفنية المؤرخة بعصر ما قبل الأسرات. وذلك مما دفع البعض إلى التشكيك في تأريخها.

وعُثر في المقبرة رقم 58C4 في أبو صير الملق على إناء من الحجر الجيري الأصفر مُشكل على هيئة جمل بارك، يبلغ ارتفاعه ٦,٤ سم وطوله ١٠ سم (لوحة ٣). وهذه القطعة الفنية محفوظة في متحف برلين تحت رقم 185.93^{١٣}. ويؤرخ هذا الإناء بأواخر عصر ما قبل الأسرات (نقادة الثالثة CI). فوهة الإناء واسعة ومربعة الشكل تقريباً وتعلو ظهر الجمل، ويوجد أسفل حافة الإناء أربعة ثقوب ربما للتعليق. وتبرز رقبة ورأس الجمل من الإناء. نُحتت تفاصيل الرأس بالنقش البارز وكذلك تفاصيل السيقان وانتشاءتها أسفل الجسم على النحو المعتاد. ومن المحتمل أن هذه القطعة تمثل جمل يحمل على ظهره حمولة، أو أنه يمثل إناء لحفظ المواد الدهنية^{١٤}. وربما كان الغرض من نحت مثل هذا الإناء، أن يكون وسيلة سحرية تساعد المتوفى على عبور واجتياز العالم الآخر، وذلك على غرار ما تتميز به الجمال من اجتياز للصحراء الشاسعة والعبور براكبها بقدرة فائقة في الحياة الدنيا^{١٥}، أو ربما كانت هذه القطعة مجرد تكوين زخرفي على غرار العديد من الأواني ذات الهيئات الحيوانية التي شاعت في عصر ما قبل الأسرات. وبصفة عامة لم يُعثر على مثل هذه الهيئات الحيوانية ضمن ما عُثر عليه من أواني بعد ذلك إلا فيما ندر^{١٦}.

ويتضح من هذه النماذج المؤرخة بعصر ما قبل الأسرات، أن هيئة الجمل كانت معروفة على الأقل لدى بعض سكان موقعي المعادي وأبو صير الملق، في ظل عدم معرفة مكان اكتشاف رأس مجموعة "التر آرت جاليري" ولوحة متحف برلين. وعلى الرغم من أن ملامح هذه القطع الفنية ليست بالوضوح الكافي الذي يؤكد على أنها تصور الجمل، إلا أن تأريخ بعض صور الجمل في النقوش والرسوم الصخرية في بعض وديان الصحراء الشرقية مثل وادي الريان^{١٧} ووادي أبو واصل بعصر ما

¹³ Müller, G., Ausgrabung der Deutschen Orient – Gesellschaft auf dem Vorgeschichtlichen Friedhofe bei Abusir-el-Meleq im Sommer, 1905, MDOG 30, 1906, 17; Scharff, A., Das Vorgeschichtliche Grabfeld von Abusir El-Meleq, Die Archäologischen Ergebnisse, Leipzig 1962, 68, Taf. 57-8; Grimm, A. und Schoske, S., Am Beginn Der Zeit, Ägypten in der Vor-und Frühzeit, München 2000, p.49, fig.82.

¹⁴ Ripinsky, M., The camel in dynastic Egypt, p.136;

سيف، محمود، وسائل النقل والمواصلات البرية في مصر القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار بجامعة القاهرة ٢٠٠٢، ص ١٢٧.

¹⁵ زكريا، أشرف، التماثيل والتشكيلات الحيوانية والحيوانية الطابع في مصر وبلاد الشرق الأدنى القديم في عصور ما قبل التاريخ – رسالة دكتوراه غير منشورة – جامعة القاهرة ٢٠٠٠، ص ١٩٠.

¹⁶ خميس، زينب عبد التواب، تطور الأواني الحجرية في مصر منذ عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية عصر الدولة الوسطى، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآثار جامعة القاهرة ٢٠٠٩م، ص ١٥٨.

¹⁷ Ripinsky, M., The camel in dynastic Egypt, Journal of Egyptian Archaeology 71, 1985, pp.134-141; Murray, G.W., Early Camels in Egypt, Bulletin de l' Institut Fouad I du Désert 2, 1952, p.106; Free, J.P., Abraham's camels, JNES 3, 1944, 188-189.

قبل الأسرات^{١٨}، يرجح معرفة المصريين للجمل خلال ذلك العصر. وحتى لو لم يكن الجمل مستأنساً في تلك المواقع المصرية فمن المحتمل أن هذه القطع قد جاءت نتيجة تأثيرات حضارية من مناطق بادية الشام وشمال غرب الجزيرة العربية. وقد يؤكد ذلك نتائج الحفائر والبحوث الأثرية الحديثة في موقع المعادي^{١٩}. والتي أثبتت قيام حضارة المعادي خلال النصف الأول من عصر ما قبل الأسرات بدور الوسيط التجاري بين حضارات مصر السفلى وما وراءها من مناطق جنوب بلاد الشام وشمال غرب الجزيرة العربية من ناحية، وحضارات مصر العليا في صعيد مصر من ناحية أخرى. وربما وصلت هذه التأثيرات فيما بعد إلى موقع أبو صير الملق. كما أثبتت المسوحات الأثرية في شمال غرب الجزيرة العربية، وبالتحديد في منطقة أرض مدين ووادي شرمة على وجه الخصوص، أنها كانت بمثابة حلقة الوصل الحضاري بين السومريين في جنوب وادي الرافدين وبين المصريين في وادي النيل منذ عصر ما قبل الأسرات^{٢٠} وإذا صح ذلك الفرض، فالسؤال الذي يطرح نفسه هل كان الجمل مستأنساً في هذه المناطق، واستخدم في نقل البضائع التجارية منذ ذلك العصر؟ وهذا السؤال يصعب الإجابة عليه على وجه اليقين في الوقت الحالي بسبب وجود خلاف بين الباحثين حول العصر الذي استؤنس فيه الجمل في مناطق الشرق الأدنى والجزيرة العربية. وربما تكشف الحفائر الأثرية الحالية في أكثر من موقع في شمال غرب الجزيرة وبادية الشام عن أدلة أثرية أكثر يقيناً حول هذا الموضوع. كما أن إجراء دراسات معملية حول تأريخ بعض الصور الصخرية العديدة في مناطق شمال غرب الجزيرة العربية، يمكن أن تؤدي في المستقبل إلى نتائج علمية مفيدة في هذا المجال.

عصر الأسرات المبكر

يُعرف هذا العصر أيضاً بعصر بداية الأسرات أو العصر العتيق (٣١٠٠ - ٢٦٨٦ ق.م). ويشمل الأسرتين الأولى والثانية، وإن كان هناك من يعتبر الأسرة صفر جزءاً من هذا العصر أيضاً^{٢١}. وكان ظهور الجمل في فنون العصر المبكر محدوداً بقطعتين في حدود ما هو معلوم حتى الآن. القطعة الأولى وجدها بنثري في معبد أبيدوس. وهي عبارة عن رأس جمل مشكلة من الفخار، تُؤرخ بعصر الأسرة الأولى^{٢٢}. طولها ١٢ سم، وارتفاعها ٦ سم، ومحفوظة في متحف كلية الجامعة بلندن

¹⁸ Winkler, H.A., Rock Drawings of Southern Upper Egypt, London 1938, pl.1-2.

¹⁹ Seeher, J., Maadi eine Prädynastische Kultur Gruppe Zwischen Oberägypten und Palästina, PZ 65 Heft 2, Berlin 1990, pp. 123- 156.

²⁰ الناصوري، رشيد، حول أرض مدين من حيث تحديد موقعها ودورها التاريخي المبكر، في: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام، الرياض ١٩٨٤، ص ٧٣.

²¹ Wenke, R.J., Early Dynastic Period, in: The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt I, Oxford 2001, p. 413.

²² Petrie, F., Abydos II, p.27, 49, pl.10.

(لوحة ٤). وتتميز هذه الرأس بوضوح ملامحها نوعاً ما، والتي تتمثل في تشكيل الفم والأنف والعينين بطريقة التحزيز. والقطعة الثانية اكتشفها كويبل في معبد هيراكبوليس (الكوم الأحمر)، وهي عبارة عن رأس جمل من الفخار مؤرخة أيضاً بعصر الأسرة الأولى^{٢٣}، ومحفوطة في المتحف الأشمولي (رقم E3266) بأكسفورد (لوحة ٥). وعلى الرغم من عدم وضوح ملامحها، إلا أن استطالة الوجه وشكل الفم وفتحة الأنف، تدل على أنها تصور جمل.

والجدير بالذكر أن زكي سعد عثر على عظام رقبة جمل وبعض ضلوعه في المقبرة رقم 720H-5 بحلوان، وترجع هذه المقبرة إلى عصر الأسرة الأولى^{٢٤}. وقد دفعت هذه الشواهد الأثرية كلا من Emery ، Childe إلى الاعتقاد بأن الجمل كان من بين الحيوانات التي استأنست في مصر خلال عصر بداية الأسرات^{٢٥}. والملاحظ أن الأدلة الأثرية عن الجمل قد امتدت من الشمال خلال عصر ما قبل الأسرات (المعادي وأبو صير الملق) نحو الجنوب في معابد أبيدوس وهيراكبوليس وهي المناطق التي لعبت دوراً سياسياً كبيراً سواء في مرحلة توحيد البلاد أو خلال العصر المبكر. كما دلت الشواهد الأثرية من هاتين المنطقتين على علاقات تجارية مع بعض المناطق في شمال شرق مصر^{٢٦}. فإذا صح أن كل من رأس أبيدوس وهيراكبوليس تمثل جمل، فهي تدل على استخدامه في نقل البضائع والتجارة على الأقل في المناطق الصحراوية والمسافات الكبيرة، أو على أضعف الأيمان معرفة المصريين له عن طرق احتكاكهم وتعاملهم مع جيرانهم في مناطق بادية الشام وشمال شبه الجزيرة العربية.

عصر الدولة القديمة

تشمل الفترة الممتدة من بداية الأسرة الثالثة (٢٦٨٧ق.م) وحتى نهاية الأسرة السادسة (٢١٩٠ق.م)، على الرغم من اعتقاد بعض الباحثين بأنها تمتد إلى أواخر الأسرة الثامنة^{٢٧}. ولم يُعثر حتى الآن على قطع فنية تشكيلية للجمل مؤرخة بهذا العصر، وكما هو الحال في عصر ما قبل الأسرات والعصر المبكر. في حين ظهرت هيئة الجمل في النقوش الصخرية في النوبة السفلى خلال عصر الدولة القديمة^{٢٨}. كما يوجد نقش صخري بالقرب من أسوان، يصور رجل يقنأ جمل بحبل، ومن أمامه نقش

²³ Quibell , J.E. and Green , F.W., Hierakonpolis II , p.49 , pl. 62, fig.2.

²⁴ Saad,Z., Royal Excavation at Helwan (1945- 1947), in: Supplement aux ASAE, Cahier 14, Le Caire 1951, p.38, pl. XLVIII a-b.

²⁵ Child, V.G., What Happened in history, London 1942,p.65f.; Emery, W.B., Archaic Egypt, Baltimore 1961, p.240.

²⁶ Ben- Tor, A., The Relations Between Egypt and The Land of Canaan during the Third Millennium BC., JJS 33, 1982, pp.3-18.

²⁷ Verner, M., Old Kingdom: An Overview, in: The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt II, Oxford 2001, p. 585.

²⁸ Dunbar, J.H., Rock Pictures of Lower Nubia, Cairo 1941, p.49, pl.14, fig.64.

هيرايطي مؤرخ بعصر الأسرة السادسة (لوحة ٦). وتُورخ صورة الرجل والجمل بنفس العصر بناءً على تشابه أسلوب نحت الصور مع النص الهيرايطي^{٢٩}. وتُعد هذه الصورة هي أقدم الصور الواضحة والمؤكددة والمؤرخة للجمل في الفنون المصرية القديمة. وفيها يظهر الجمل في حالة حركة، حيث يرفع رأسه لأعلى ويتطلع إلى الأمام بوجهه الغير واضح التفاصيل باستثناء خطين يشيران إلى الأذنين، كما يقدم الساقين البعديتين خطوة واسعة نحو الأمام. وقد وُفق الفنان في تصوير هيئة الجمل أكثر من الهيئة الأدمية.

والجدير بالذكر أنه عُثر أثناء الحفائر التي أجريت في موقع أم الصوان شمال الفيوم في بدايات القرن العشرين، على حبل أو خيط مفتول، طوله حوالي ٣ أقدام و ٦ بوصات. أثبتت التحاليل المعملية الدقيقة بمتحف التاريخ الطبيعي أنه من وبر الجمال^{٣٠}. وقد أُرخ هذا الحبل بناءً على الفخار الموجود معه بعصر الأسرة الثالثة أو بداية الأسرة الرابعة^{٣١}. وتأتي أهمية هذا الأثر من كونه لا يدل فقط على وجود الجمل، وإنما يؤكد أيضاً على استئناسه سواء كان ذلك في صحراء مصر أو في المناطق المجاورة في شمالها الشرقي أو في أقصى الجنوب بالنوبة وما وراءها.

عصر الدولة الوسطى

وتشمل الأسرتين الحادية عشر والثانية عشر (٢٠٠-١٦٥٠ ق.م) وإن كان هناك من يضم إليهما الأسرة الثالثة عشر^{٣٢}. ورغم أنه لا تُوجد أعمال فنية تشكيلية تمثل الجمل من عصر الدولة الوسطى في حدود ما تم الكشف عنه حتى الآن في مصر، إلا أنه وُجد ضمن ودائع أساس المعبد المصري في ميناء جبيل بلبنان، تمثال لجمل منحوت من الحجر، طوله حوالي ٤٢ سم، يمثل جملاً باركاً، به ثقب في الظهر، وتُحت حول الفم حبل ملفوف (لوحة ٧). وإذا صح أن هذا العمل الفني يصور جملاً فهو يُعد فريداً في هيئته التي تصور الجمل يلتفت برأسه نحو الجانب. واعتبر مونتيه أن هذه القطعة مصرية الصنع، حيث عثر عليها بين آثار مصرية تُورخ بالفترة الممتدة من ٢٠٠٠-١٥٠٠ ق.م^{٣٣}. كم عُثر أثناء المسح الجيولوجي في الفيوم على جمجمة جمل بجوار فخار مؤرخ بالفترة الممتدة من ٢٠٠٠-١٤٠٠ ق.م^{٣٤}، أي أنها من نفس العصر الذي يعود إليه تمثال الجمل من جبيل.

²⁹ Schweinfurth, G., Über alte Tierbilder und Felsinschriften bei Assuan, Zeitschrift für Ethnologie 44, 1912, p.633.

³⁰ Caton-Thompson, G. and Gardiner, E.W., The Desert Fayum, Bedford 1934, p.123, no.191.

³¹ Caton-Thompson, G., The Camel in Dynastic Egypt, Man 34, 1934, p.21.

³² Franke, D., Middle Kingdom, in : The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt II, Oxford 2001, p.393.

³³ Montet, P., Byblos et l'Égypte I, Paris 1928, p.91, pl.52:179.

³⁴ Little, O.H., Recent Geological Work in the Faiyum and the Adjoining Portion of the Nile Valley, Bulletin de l'Institut d'Égypte 18, 1935-6, p.215.

وعلى الرغم من أن عصر الدولة الوسطى هو العصر الذهبي للغة المصرية القديمة وآدابها، إلا أنه لم تظهر فيها كلمة تدل على الجمل وكما كان الحال في العصور التاريخية السابقة. ولعله أن يكون من الصعوبة بمكان تفسير الغياب شبه الكامل للجمل في الفنون واللغة المصرية خلال عصر الدولتين القديمة والوسطى باستثناء الرسوم الصخرية في النوبة السفلى وبالقرب من أسوان، وذلك التمثال من معبد جبيل، على الرغم من استمرار التواصل الحضاري بين مصر وبعض الجماعات والدويلات التي قامت على المناطق المتاخمة لطرق التجارة الرئيسية الواقعة بين شمال غرب الجزيرة العربية وبلاد الشام^{٣٥}، وهي المناطق التي تُعد الموطن الأصلي للجمل. وليس هناك من تفسير باستثناء الاحتمال القائل بأن استخدام العرب للجمل في التجارة كان خلال النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد. ولا يُستبعد أن تكشف الحفائر الأثرية في المستقبل سواء في مصر أو جزيرة العرب أو غيرها من مناطق الشرق الأدنى عن أدلة أثرية جديدة ومؤكدة بخصوص استئناس الجمل واستخدامه في التجارة. حيث شكل الجمل عنصراً رئيسياً في الفنون الصخرية بمعظم مواقع الرسوم الصخرية بالجزيرة العربية على وجه الخصوص، والتي لا زالت في حاجة ماسة لمزيد من الدراسات المتخصصة في تأريخ هذه الرسوم^{٣٦}.

عصر الدولة الحديثة

يُعتبر عصر الدولة الحديثة في مصر هو عصر الانفتاح على العالم الخارجي. ويشمل هذا العصر الأسرات من الثامنة عشر وحتى نهاية الأسرة العشرين (١٥٦٩ - ١٠٧٦ ق.م)^{٣٧}. حيث امتد النفوذ المصري ليشمل مناطق واسعة من بلاد الشام، وتوطدت صلات مصر وتأثيرها المتبادل مع مناطق الجزيرة العربية، والتي نالت جانباً من اهتمام المصريين للحصول من مناطقها الجنوبية الغربية (اليمن) على مستلزمات معابدهم من البخور واللبان بطريق مباشر دون الاعتماد على الوسطاء وتجنب نفقاتها الباهظة^{٣٨}. وربما انعكس ذلك الاتصال المباشر على ظهور الجمل

³⁵ صالح، عبد العزيز، شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الأول ص ٣٠٢.

³⁶ Nayeem, M.A., Camel Representation in the Rock Art of Saudi Arabia, pp.9-23 in : Studies on the History and Civilization of Arabia, This Volume is dedicated to Prof. Abdul Rahman T.Al- Ansary, Riyadh 2007.

³⁷ Murnane, W.J., New Kingdom: An Overview, : The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt II, Oxford 2001, p. 519.

³⁸ ظهرت الصلة الواضحة لمصر مع الجزيرة العربية في عصر الدولة الحديثة من خلال عدد من الشواهد الأثرية في عهد الملكة حتشبسوت إذا أخذنا في الاعتبار الاحتمال القائل بأن المقصود بأرض الإله "بونت" قد تشير أيضاً إلى مناطق اليمن إلى جانب منطقة القرن الأفريقي. والدليل الثاني من عهد الملك تحتمس الثالث، حيث جاء في نصوص عهده ذكر رسل جنبتيو محملين بمنتجاتهم من

بشكل واضح في بعض أعمال الفنون التشكيلية صغيرة الحجم خلال عصر الدولة الحديثة.

وفي هذا السياق ذكر أنه كان يوجد في متحف اللوفر تمثال صغير لجمل يقال أنه من عصر العمارنة ولكنه لم يُنشر^{٣٩}. كما عُثر على تمثال لجمل في الميدامود مؤرخ بالقرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد^{٤٠}.

وفي إحدى المقابر بجبانة ريفة بأسسيوط والتي ترجع إلى عصر الأسرة التاسعة عشر، عُثر على تمثال من الفخار لجمل يحمل فوق ظهره إناءين (لوحة ٨)، مما يدل على استخدام الجمل في نقل البضائع^{٤١}. ويُلاحظ أن ملامح الوجه والرأس أكثر وضوحاً وإتقاناً في تنفيذها مقارنة بالجسم. ويوجد كسر عند الرقبة، والجزء السفلي من الأرجل مفقودة.

ومن معبد أوزير في أبيدوس عُثر على تمثال لجمل محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة (CG 3830). التمثال مشكل من الفخار المزجج، لونه أزرق مائل إلى الأخضر (لوحة ٩)^{٤٢}. والتمثال المشكل يدوياً، يصور الجمل باركاً ورأسه المرفوعة لأعلى ذات ملامح واضحة، حيث ترتفع الأذنان لأعلى، وتتطلع العينان للأمام، والفم مفتوح. وفوق مقدمة ظهر الجمل يجلس رجل يمد يديه للأمام وكأنه يمسك اللجام، بدليل وجود ثقب في يديه. وعلى الرغم من عدم وضوح ملامح رأس الرجل، إلا أن هيئته أقرب ما تكون إلى هيئة الأسيويين. ويحمل الجمل على جانبيه ظهره خمسة أواني، منها أربعة ذات مقابض موزعة على الجانبين، والإناء الخامس فوق السنام، وهو إناء طويل على شكل زهرة. والأواني مزخرفة بخطوط رأسية. وتدل ملامح ووضعية التمثال على أنه يصور الجمل وكأنه يتهيأ للوقوف.

وقد اختلفت الآراء حول تأريخ هذا التمثال فيما بين نهاية عصر الرعامسة أي أواخر الألف الثاني قبل الميلاد، وحتى العصر البطلمي. وإن كان الرأي الأرجح أنه يعود إلى النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، حيث أن تشكيله يدوياً وليس مصبوباً في قالب كما هي العادة في العصر البطلمي، كما وُجدت أدلة أثرية قوية

=الكندر (Urk. IV, 695, 5-7) والذي ربما يشير إلى القتبانيين. كما عُثر على اسم الملك أمنحتب الثالث على جعران صغير في اليمن

Fakhry, A., An Archaeological Journey to Yemen I, 1952, fig.95.

هذا بالإضافة إلى الكشف الحديث عن اسم رمسيس الثالث في تيماء. والذي ربما يساعد في تفسير ما جاء في بردية هاريس الكبرى من إرساله لحملة إلى بلاد بونت عن طريق البحر والبر. عبد العزيز صالح، نفس المرجع السابق، ص ٣٠٧ - ٣١٩

³⁹ Free, J., Abraham's Camels, JNES 3, 1944, p.188f.

⁴⁰ Bisson de la Roque, M.F., Raport sur les Fouilles de Médamoud, FIFAO 7, 1929, p.56.

⁴¹ Petrie, F., Gizeh and Rifeh, London 1907, p.23, pl.27.

⁴² Mariette, A., Abydos II, pl.40; Von Bissing, F.W., Zur Geschichte des Kamels, p.68.

وواضحة على استخدام سكان الجزيرة العربية للجمل في تجارة القوافل خلال تلك الفترة^{٤٣}. حيث وجدت تماثيل صغيرة (دمى) لجمال أغلبها من الفخار في العديد من المواقع الأثرية بغرب الجزيرة العربية من بلاد اليمن جنوباً وحتى تيماء شمالاً. وقد أرخت بنهاية الألف الثاني وبداية الألف الأول قبل الميلاد^{٤٤}. ومما هو جدير بالذكر أن أعمال المسح والحفائر الأثرية الحديثة في موقع تيماء أخرجت مادة أثرية دلت على وجود تبادل حضاري وتأثيرات فنية مصرية، حيث كان هذا الموقع بمثابة ملتقى لطرق القوافل بين حضارات الجزيرة العربية من ناحية وحضارات مصر القديمة وبلاد الشام ووادي الرافدين من ناحية أخرى^{٤٥}. ومن أهم هذه الكشوف بطبيعة الحال وجود اسم الملك رمسيس الثالث مسجلاً على صخرة بالقرب من مدينة تيماء^{٤٦}. كما دلت الحفائر الحديثة في موقع قرية (ضمن أرض مدين) أنها كانت على اتصال وثيق بحضارة وادي النيل، وهناك اتجاه إلى اعتباره حلقة الوصل بين الكتابة السينائية المبكرة والكتابة الثمودية في شمال الجزيرة العربية^{٤٧}. وذلك لوقوعه على طريق التجارة. وقد توفر في هذا الموقع وسائل تزويد القوافل التجارية بالجمال والمؤن اللازمة في رحلاتهم الطويلة. فهل يمكن اعتبار تمثال الجمل من معبد أبيدوس تأثيراً حضارياً من الجزيرة العربية؟ قد يرجح ذلك ما سبق ذكره من اقتراب هيئة الرجل الذي يمتطيه من هيئة الأسويين.

وفي أقصى جنوب مصر، اكتشف بتري نقوش صخرية بالقرب من جبل السلسلة، صورت مجموعة من الجمال، والتي أرخها بالفترة الممتدة من ١٥٦٧-١٣٢٠ قبل الميلاد^{٤٨}. ويدل وجود صور للجمل في جنوب مصر في مناطق النوبة

⁴³ Midant-Reynes, B. and Braunstein-Silver, F., *Le Chameau en Égypte*, Or 46, Fasc.3, 1977, p.350.

⁴⁴ السعيد، سعيد، وآخرون، تيماء: خريف ٢٠٠٤ و ربيع ٢٠٠٥، التقرير الثاني عن المشروع الأثري السعودي الألماني المشترك، أطلال العدد العشرون، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ٧٣-١٠٢، لوحة ٢٧.

⁴⁵ الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، أبو الحسن، حسين بن علي، تيماء ملتقى الحضارات، سلسلة قرى ظاهرة على طريق البخور: (٢)، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م؛ الذبيبي، محمد، الرموز المنقوشة على المذبح الحجري المكعب من تيماء ودلالاته الحضارية، مجلة الخليج للتاريخ والآثار، العدد السادس ١٤٣٢هـ ٢٠١١م، ص ٤٧-٨٢.

⁴⁶ هو عبارة عن نقش صخري يسجل اسم الميلاد (السا رع) ولقب التتويج (النسوبيتي) للملك رمسيس الثالث، وهما مسجلان كما هو متبع في كتابتها دائماً داخل خرطوشين. لمزيد من المعلومات عن هذا النقش انظر: محمد الذبيبي، التواصل الحضاري من خلال نقش أثري للملك رمسيس الثالث المكتشف بواحة تيماء في شمال غرب المملكة العربية السعودية، مقال قيد النشر في مجلة أدوماتو.

⁴⁷ Mendenhall, G.E., *Qurayya and the Midianites*, in: *Studies in the History of Arabia*, vol. II, Pre- Islamic Arabia, Riyadh 1984, pp.137- 144.

⁴⁸ Petrie, F., *Ten Years digging*, London 1892, p.75.

السفلى والعليا على احتمال استخدامه في أعمال التجارة وتبادل السلع مع المناطق الجنوبية. كما تدل التماثيل الصغيرة المؤرخة بعصر الدولة الحديثة على استخدام الجمل في نقل البضائع إلى مصر، أو أنه تأثير خارجي وافد من شمال غرب الجزيرة العربية أو بادية الشام على أقل تقدير.

العصر المتأخر

ويشمل العصر المتأخر الأسرات الحادية والعشرين إلى الأسرة الثلاثين (١٠٧٥ - ٣٣٢ ق.م). ويتميز ذلك العصر بأن استخدام الجمل لم يعد مقصوراً فقط على نقل المنتجات والسلع التجارية، وإنما استخدم أيضاً في مساعدة وتجهيز الجيوش في منطقة الشرق الأدنى القديم. فقد ذكرت النصوص أن القبائل العربية قد زودت الملك الأشوري "أسر حدون" بالجمال لمساعدة جيشه على اجتياز الصحراء أثناء غزوه لمصر حوالي عام ٦٧١ قبل الميلاد^{٤٩}. كما ذكر هيرودوت أن الملك الفارسي قمبيز أمر بحمل قرب الماء المصنوعة من جلد الجمل على ظهور الجمل لتزويد قواته أثناء عبوره المناطق الصحراوية في حملته على مصر حوالي عام ٥٢٥ قبل الميلاد. ويبدو أن الجمل كان مألوفاً في مصر خلال العصر المتأخر، حيث أصبحت صورته أكثر وضوحاً أيضاً على غرار تلك التي تعود إلى عصر الدولة الحديثة، وذلك على الرغم من ندرتها^{٥٠}، ومن نماذجها ما يلي:

ظهرت صورة الجمل على كسرة من قاعدة طبق من الفخار المزجج والمؤرخ بالعصر المتأخر، والمحفوظ بالمتحف البريطاني (BM.C 65553). فعلى أحد جانبي الكسرة أفريز من الحيوانات الصحراوية، حيث لم يظهر الجمل بمفرده، وإنما صور ضمن مجموعة من الحيوانات البرية التي شملت بالإضافة إلى الجمل الظبي والغزال والوعل واللبؤة. كما صوّرت مع هذه الحيوانات نعامة. وعلى الجانب الآخر من كسرة الفخار المزجج صورة المعبود بس، وهذه الصور منفذة بأسلوب النقش الغائر^{٥١}. كما نُقشت صورة جمل على قرص من الحجر من أحد التلال الأثرية بمركز منوف. ويصور النقش مجموعة من الحيوانات حول زهرة متفتحة في الوسط. ويحيط بالحيوانات إطار على هيئة إكليل من الزخارف النباتية. والحيوانات المصورة هي

⁴⁹ Shaw, I. and Nicholson, P., British Museum Dictionary of Ancient Egypt, The American University in Cairo 1995, p.59.

⁵⁰ ومما يؤكد على زيادة تعامل المصريين مع الجمل ومواطن استخدامه في الأقطار المجاورة أن النصوص المصرية أشارت صراحة لأول مرة إلى اسم الأرض العربية على برديات من عصر البطالمة، سجلت أحداثاً سابقة على هذا العصر من عهد الملك بادي باستة من القرن الثامن قبل الميلاد، ومن عهد الملك أحمس الثاني من القرن السادس قبل الميلاد.

Saleh, A., Arabia and the Arabs in Ancient Egyptian Records, Journal of Faculty of Archaeology, Cairo University 1978, pp.69-77.

⁵¹ A General Introductory Guide to the Egyptian Collections in the British Museum, London 1971, p.200.

الفيل والحمار والظبي والغزال بالإضافة إلى الجمل (لوحة ١٠) ^{٥٢}. ويُلاحظ أن الجمل كغيره من الحيوانات مصور في وضع حركة بتقديم الساقين البعديتين عن المشاهد، والوجه بدون تفاصيل باستثناء إشارة بسيطة للأذن، والذيل قصير، غير أن ارتفاع السنام لا يتناسب مع الواقع. كما يُلاحظ أن صورة الجمل تتقدم على الحمارة، فهل قصد الفنان التعبير بذلك عن ازدياد أهمية الجمل بحث أصبح وسيلة النقل البرية الأساسية في هذا العصر؟

ومما سبق يتضح أن هيئة الجمل أصبحت معتادة في وادي النيل بمصر خلال العصر المتأخر، حيث صور ضمن مجموعات من الحيوانات الأخرى. كما عُثر على جمجمة جمل أثناء المسح الجيولوجي في شمال بحيرة الفيوم في عام ١٩٣٤م. وهذه الجمجمة محفوظة في المتحف الجيولوجي بالقاهرة ^{٥٣}. وقد أكدت التحاليل الكربونية على أن الجمل المستأنس قد عُرف في مصر في أوائل الألف الأول قبل الميلاد على أقل تقدير. ^{٥٤} وتؤكد ذلك من خلال التحاليل الكربونية التي أجريت على بقايا عظمية لجمل من قصر أبريم الواقعة إلى الجنوب من أسوان بحوالي ٤٠ كم. حيث أعطت تاريخاً يعود إلى بدايات الألف الأول قبل الميلاد ^{٥٥}.

العصر اليوناني الروماني

وعندما دخل الاسكندر الأكبر مصر عام ٣٣١ ق.م، يبدو أنه استخدم الجمال في رحلته الشهيرة إلى واحة سيوه لزيارة معبد آمون ^{٥٦}. وازداد استخدام الجمال في عصر البطالمة في مصر على الرغم من ازدهار طرق التجارة البحرية. فمثلاً قام الملك بطلميوس فيلادفيوس (٢٨٥-٢٤٧ ق.م) بتمهيد الطرق التجارية عبر الصحراء الشرقية، والتي تربط بين قفط وموانئ البحر الأحمر ^{٥٧}. واستخدم الجمل لنقل البضائع على هذه الطرق الصحراوية.

ولم يقتصر استخدام الجمل بمصر في عصر البطالمة على الطرق البرية التي تربط بين وادي النيل والبحر الأحمر فقط، وإنما استُخدم أيضاً في نقل البضائع ولاسيما

⁵² Daressy, G., A Travers les Koms du Delta, ASAE 12, 1912, fig.9;

سيف، محمود، المرجع السابق، ص ١٣٨، ١٣٩.

⁵³ Murray, G.W., Early Camels in Egypt, p.105.

⁵⁴ Janssen, R. and Janssen, J., Egyptian Household Animals, Shire Publications, Aylesbury, London (1989); Journal of Archaeological Science, Volume 32, Issue 3, March 2005, Pages 451-463

⁵⁵ Rowley-Gonwy, P., The Camel in the Nile Valley, New Radiocarbon Accelerator (AMS) dates from Qasr Ibrim, Journal of Egyptian Archaeology 74, 1988, 245-248.

⁵⁶ Epstein, H., The Origin of the Domestic Animals of Africa, Vol.2, London 1971, p.566.

⁵⁷ Saber, A.S., The Camel in Ancient Egypt, Proceedings of the Third Annual Meeting for Animal Production Under Arid Conditions, Vol.I, United Arab Emirates University 1998, 208-215; Redford, S. and Redford, D.B., "Graffiti and Petroglyphs Old and New from the Eastern Desert", in: JARCE XXVI, 1989, p.6.

البخور والمواد العطرية عبر الطريق البري الذي يصل بين مصر وشمال غرب الجزيرة العربية وجنوب بلاد الشام، حيث عين البطالمة في غزة (التي أطلق عليها إسترابون رأس طريق البخور) موظفاً حمل لقب المشرف على إدارة البخور^{٥٨}. ولعل ذلك يُفسر العثور على كميات كبيرة من عظام الجمال المؤرخة بالعصر الهلينستي في موقع تل جمّة في جنوب غزة بفلسطين، مما يدل على ازدهار تجارة القوافل التجارية، حيث يوجد هذا الموقع على الطريق البري بين مصر وشبه الجزيرة العربية وبلاد الشام^{٥٩}. ولم يقتصر استخدام الجمل في العصر الروماني في النقل بالطرق الصحراوية فقط، وإنما أيضاً في داخل مناطق وادي النيل^{٦٠}.

ونتيجة لما سبق ازداد ظهور الجمل في الفنون المصرية في العصر اليوناني الروماني. حيث وجدت بعض التماثيل التي تصور الجمل بحمولته أو بدون حمولة^{٦١}، ومنها تمثال بالمتحف البريطاني (رقم 37628) يصور جمل يحمل على ظهره حمولة مكونة من ست أواني ثلاثة على كل جانب (لوحة ١١)^{٦٢}. ويلاحظ أن الفنان وُفق في تشكيل الملامح الرئيسية للجمل. وعلى الرغم من فقدان الجزء الأسفل من الأرجل، بالإضافة إلى تشكيل كل ساقين ملتصقين مع بعضهما البعض، صُوّر الجمل وكأنه في حالة حركة، وذلك من خلال امتداد الساقين الأماميتين نحو الأمام والخلفيتين إلى الخلف، وارتفاع الرقبة وتطلع الوجه ولاسيما العينين نحو الأمام.

كما يُوجد تمثال آخر بإحدى المجموعات الخاصة (Fouquet) يمثل جمل شبيه في طريقة تشكيله بالتمثال السابق، وإن كانت ملامح وجهه أكثر وضوحاً ويتطلع للأمام. ووفق الفنان في تشكيل العنق بانحنائه الطبيعية الجميلة، في حين أن حركة الأرجل غير واضحة، فالساقين الأماميتين كتلة واحدة وكذلك الخلفيتين. وحمولته عبارة عن سلتين ممثلتين بالعنق على جانبي ظهره (لوحة ١٢)^{٦٣}.

⁵⁸ عبد العليم، مصطفى كمال، تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، في: دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثاني، الجزيرة العربية قبل الإسلام، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٨٤، ص ٢٠٢.

⁵⁹ بيبي، كينيث، الجمل: ثورة في عالم المواصلات في تاريخ العرب القديم، ترجمة ير نمر ياسين، مركز بحوث التاريخ والتراث الطبيعي، جامعة الإمارات العربية المتحدة، العين ١٩٩٢، ص ٤٤.

⁶⁰ Casson, L., Travel in Ancient World, Toronto 1974, p.182.

⁶¹ قادوس، عزت، فنون الإسكندرية القديمة، الإسكندرية ٢٠٠١، ص ١٧٠-١٧١، شكل ٢٤-٢٦.

⁶² Rostovtzeff, M., The Social and Economic History of The Roman Empire I, Oxford 1957, pl.53:4.

⁶³ Ibid., pl.53:3.

وعُثر على تمثال من الفخار في منف ومحفوظ في متحف كلية الجامعة بلندن (UC 48026)، يصور جمل واقف، رقبتة مستقيمة، وتتطلع رأسه لأعلى. ويحمل ستة أواني (أمفورات) ثلاثة على كل جانب، ويوجد آثار لون أحمر على العنق (لوحة ١٣)^{٦٤} ويوجد تمثال لجمل من الفخار المشكل من طمي النيل، عُثر عليه في منف ومحفوظ في متحف كلية الجامعة بلندن (UC 48033)، ومؤرخ بالعصر الروماني (لوحة ١٤). وهو يمثل جمل واقف، ويوجد ثقب يخترق الرقبة، والأقدام مجوفة. يميل لون السطح إلى الأبيض، وهناك خطوط ملونة باللون الأحمر الغامق والأسود تمتد من الرقبة إلى السنام، وتصل ما بين الساق الأمامية والخلفية^{٦٥}. ويوجد في مخزن المتحف اليوناني الروماني بالإسكندرية تمثال صغير من الفخار الأحمر لجمل (رقم P.10778)، عُثر عليه في الفيوم، ويؤرخ هذا التمثال بالعصر الروماني (لوحة ١٥)^{٦٦}. وعلى الرغم من أنه غير مكتمل بسبب فقدان جزء من مؤخرته والساقين الخلفيتين والجزء السفلي من الساقين الأماميتين، إلا أنه يُعد عملاً مميزاً لوضوح ملامحه، ولاسيما ما يتعلق بمحاولة تشكيل العناصر التشريحية للعنق وأعلى الساق الأمامية. ويزين العنق زخرفة دائرية بارزة ربما ترمز إلى عقال البعير، كما قد تدل الخطوط الدائرية المحزوزة حول الرقبة إلى ثنيات عنق الجمل.

كما ظهرت هيئة الجمل ضمن نقوش ذلك العصر، فعلى جانب مقعد تمثال أحد الأفراد من عهد تيبيريوس، نقش يصور جمل يسير سيراً طبيعياً حيث يقدم الساقين البعديتين خطوه للأمام. عُثر على هذا التمثال في مدينة هابو، وهو محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة (CG 1191)^{٦٧}. ويوجد على موقع متحف كلية الجامعة بلندن أيضاً قطعة من الجص عليها صورة جمل مصور في حالة حركة، حيث يقدم الساقان البعديتان خطوة للأمام (لوحة ١٦)^{٦٨}. ووفق الفنان في تشكيل العناصر التشريحية للجمل ولاسيما الجزء العلوي من الساقين القريبتين من المشاهد. ويمكن القول بأن هذه الهيئة تُعد من أوضح صور الجمل التي وصلت إلينا من مصر من العصور التاريخية القديمة.

وأخيراً فقد حظيت صورة الجمل بمكانة متميزة في الفن القبطي، حيث ارتبط تصوير القديس أبو مينا على العديد من الآثار بظهوره بين جملين باركين. ونستشهد هنا بنموذج قنينة من الفخار محفوظة بمتحف كلية الجامعة بلندن (uc.19516). وهي مفقودة الرقبة والمقابض. وسُجل على جانبيها صورة القديس واقف بين جملين باركين.

⁶⁴ <http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/ostraka/uc62835.html>

⁶⁵ <http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/ostraka/uc62835.html>

⁶⁶ achtergael,G.,Le chameau,l'âne et le mulet en Égypte gréco-romaine,Cd'É 64,1989,294n° 13

⁶⁷ Borhardt , Statuen und Statuetten, CG 1191.

⁶⁸ <http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/ostraka/uc62835.html>

كل ذلك داخل إطار دائري. وكتب بالخط اليوناني اسم القديس مينا (لوحة ١٧) ^{٦٩}. والمعروف أن الفن القبطي يتميز بتصوير الأشكال الأدمية والحيوانية ذات الطابع الديني، برسم شخصيات دينية ذات تاريخ هام وما يرتبط بها من أشكال حيوانية ^{٧٠}.

الخلاصة

لعبت الإبل دوراً كبيراً في التاريخ الحضاري لبعض المناطق الصحراوية في الشرق الأدنى القديم بصفة عامة والجزيرة العربية بصفة خاصة. وعلى الرغم من هذه الأهمية وذلك الدور الكبير، فقد اختلفت آراء الباحثين حول تحديد الفترة التي استؤنس الجمل خلالها. فهناك من يعود بذلك لتاريخ مبكر وهو الألف الرابع قبل الميلاد. وذلك بناء على الأدلة الأثرية في مصر ووادي الرافدين ^{٧١}. ويرى فريق آخر أن استئناس الجمل حدث في أواخر الألف الثالث وبدايات الألف الثاني قبل الميلاد ^{٧٢}. وهناك من يرى أن ذلك حدث في القرنين الثاني عشر والثالث عشر قبل الميلاد ^{٧٣}. وفي مقابل هذا الدور الكبير للإبل في بعض مناطق الشرق الأدنى القديم والجزيرة العربية، يحيط بدورها الغموض في مصر القديمة، ولا زال هذا الدور محل بحث وخلاف بين المتخصصين. ولا يرجع هذا الاختلاف إلى قلة ظهور الجمل في الفنون المصرية القديمة فقط، وإنما أيضاً إلى وجود اختلاف وشك حول هذه النماذج القليلة التي ظهر فيها الجمل في الفن المصري، ولاسيما تلك التي تعود إلى العصور السابقة على الدولة الحديثة. وذلك يثير الكثير من التساؤلات حول هذا النقص لاسيما وأن الفنان المصري القديم نجح في تصوير كل الكائنات الحيوانية التي وجدت في البيئة المصرية بل وأحياناً في البيئات الأخرى بالأقطار المجاورة ^{٧٤}. هذا بالإضافة

⁶⁹ <http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/ostraka/uc62835.html>

قارن: عزت قادوس و محمد عبد الفتاح، الآثار القبطية والبنظنية، الإسكندرية ٢٠٠٢، ص ١٨٨ وما بعدها.

⁷⁰ بركات، حكمت محمد، جماليات الفنون القبطية، القاهرة ١٩٩٩، ص ١٦٠.

⁷¹ Epstein, H., The Origin of the Domestic Animals of Africa, Vol.2, London 1971.

⁷² Free, J.P., Abraham's camels, Journal of Near Eastern Studies, 1944, 188-189; Zeuner, F. E., A history of domesticated animals, London 1963; Bulliet, R.W., The camel and the wheel. Cambridge (Mass.) Harvard University Press 1978, 327; Ripinsky, M., The camel in dynastic Egypt. Journal of Egyptian Archaeology 17, 1985, 131-141.

⁷³ Walz, R., Beitrage zur altesten Geschichte der altweltl. Cameliden unter besonderer Berucksicht. des Problems des Domestikationzeitpunktes. Act. IV Congr. intern. Sci. Anthropol. Ethn., Vienne, 3, 1956, 190-204.

⁷⁴ يؤكد هذا صور الأجانب المصورة على الآثار المصرية وما يحملونه من منتجات بلادهم سواء كانت للتجارة أو على هيئة هدايا أو جزى وكان منها بطبيعة الحال حيوانات من البلاد التي كانوا يقطنوها، وخير مثال على ذلك صور رحلة حتشبسوت إلى بلاد بونت ومناظر حديقة النباتات =

إلى تأخر ظهور اسم الجمل في الكتابة واللغة المصرية القديمة، على الرغم من تميز اللغة المصرية القديمة بثراء وتنوع مفرداتها والتي عبرت عن كل ما يوجد في البيئة المصرية من الكائنات الحية بمختلف فصائلها. وقد يكون السبب في ذلك هو ارتباط الجمل برعاة الإبل من أصحاب حضارات المناطق الصحراوية والقائمين بدور الوسيط التجاري في نقل البضائع، وقلة اعتماد سكان وادي النيل عليه.

وعموماً فقد دلت الشواهد الأثرية على معرفة المصريين بالجمل منذ عصر ما قبل الأسرات، وليس معنى ذلك أنه كان معتاداً في وادي النيل في مصر، ولكن على الأقل كان مستخدماً في عبور المناطق الصحراوية، وفي الأقطار المجاورة لمصر سواء في جنوبها أو شمالها الشرقي. في حين يبدو أن الحمار كان وسيلة النقل الأساسية داخل الوادي وكما هو واضح على جدران مقابر الأفراد منذ عصر الدولة القديمة.

ومم يؤكد هذا الاحتمال ظهور صورة الجمل في الفنون الصخرية بشكل واضح منذ عصر ما قبل الأسرات، وتؤكد ذلك في عصر الأسرة السادسة وما تلاها من عصور. في حين أن التماثيل الصغيرة للجمل والتي عُثِرَ عليها في المواقع الأثرية في داخل وادي النيل سواء كانت في معابد أو مقابر، فلم تُصور بشكل واضح ومتقن قبل عصر الدولة الحديثة.

وأصبح الجمل مألوفاً على الأقل في أواخر العصر المتأخر مع استخدام الغزاة من الآشوريين والفرس له في اجتياز الصحراء بتجهيزاتهم العسكرية. واستُخدم على نطاق واسع في العصر اليوناني الروماني مع ازدهار التجارة في العالم، فأصبح الجمل الحيوان الرئيسي لنقل البضائع والسفر عبر الصحراوات الشاسعة في مناطق الجزيرة العربية والشرق الأدنى. ونتيجة لذلك شاع تمثيل الجمل في الفنون المختلفة في هذه المناطق ومنها مصر بطبيعة الحال.

وإذا كان الغرض من تصوير الجمل في النقوش الصخرية في مصر يُعد نوعاً من تسجيل أحداث معينة لعل أغلبها مرتبط باستخدامه في عبور المناطق الصحراوية والوصول به إلى الوادي كما هو الحال في نقش الأسرة السادسة بالقرب من أسوان، فلا يُعرف الغرض من تشكيل ونحت تماثيل صغيرة للجمل على وجه الدقة في ظل عدم وجود نصوص مصرية قديمة تتحدث عن الجمل. وإذا حاولنا أن ننظر في الحضارات المجاورة نجد أن الجمل حيوان حظى بكثير من التقدير لدى سكان الجزيرة العربية منذ أقدم العصور، ولا يزال ذلك التقدير مستمر حتى وقتنا الحاضر. وقد عُثِرَ على دمي صغيرة للجمال أغلبها من الفخار في معظم المراكز الحضارية على طول

=والطيور والحيوانات المصورة على جدران معبد الكرنك من عهد تحتمس الثالث. كما ازداد تصوير الأجنبي وما يحملونه من جزى على جدران مقابر كبار الموظفين في عصر الدولة الحديثة.

طرق التجارة في الجزيرة العربية مثل الفاو^{٧٥} وثاج^{٧٦} ومدائن صالح ودادان (الخريبة) وتيماء^{٧٧} ونجران وغيرها^{٧٨}. والملاحظ أن بعضها وُجد في أماكن العبادة، وبعضها الآخر في مقابر، وكما هو الحال بالنسبة لنماذجها التي وُجدت في مصر. وربما كان الهدف من التماثيل التي وُضعت في المعابد عبارة عن تقديرات للمعبودات عليها تضمن سلامتها، أو طلباً للبركة، أو أن تكون عبارة عن تقديم الشكر على سلامة العودة، وأن ذلك كان متأثراً بالعادات العربية الجنوبية^{٧٩}. وربما كانت دمي الجمال من أفضل التقدّمات للمعبودات خلال تلك العصور. وربما كان الهدف من وضع بعضها في المقابر دليل على مكانة الجمل وقداسته من ناحية، ورغبة وأمل في الانتفاع به في عالم الآخرة من ناحية أخرى. فهل تأثر المصريون بسكان الجزيرة العربية في عمل هذه المنحوتات؟ على أساس أن النصوص المصرية تحدثت منذ عصر الدولة القديمة (الأسرتين الخامسة والسادسة) عن استيرادهم للبخور اللازم لأداء الطقوس والشعائر الدينية والجنائزية^{٨٠}. فإذا كانت الإجابة بنعم، فإن هذا التأثير لم يكن قوياً ولم يصل إلى مرحلة العقائد المصرية، نظراً لندرة ظهور الجمل في الفنون المصرية على اختلاف أنواعها.

⁷⁵ الأنصاري، عبد الرحمن الطيب، قرية الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام، الرياض ١٩٨٢، ص ٢٧، السنان، مها، الفنون المعدنية من قرية الفاو، دراسة فنية مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الملك سعود ٢٠٠٩.

⁷⁶ بوتس، دانيال، الخليج العربي في العصور القديمة، الجزء الثاني، من الأسكندر الأكبر حتى ظهور الإسلام، مترجم أبو ظبي ٢٠٠٣، ص ٢٧٠.

⁷⁷ السعيد، سعيد، وآخرون، تيماء خريف ٢٠٠٤ وربيع ٢٠٠٥، التقرير الثاني عن المشروع السعودي الألماني المشترك، أطلال ٢٠، ٢٠١٠، ص ٩٦.

⁷⁸ السعود، عبد الله، استئناس الجمال وطرق التجارة الداخلية في الجزيرة العربية، أطلال ١٤، ص ٩٩-١٠٣.

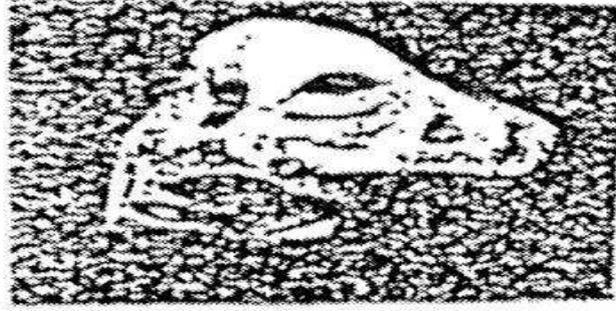
⁷⁹ باخشوين، فاطمة، الحياة الدينية في ممالك معين وقتبان وحضرموت، الرياض ٢٠٠٢، ص ٤٨٧.

⁸⁰ Breasted, J., Ancient Records of Egypt I, Chicago 1906, pp.161, 360-1.

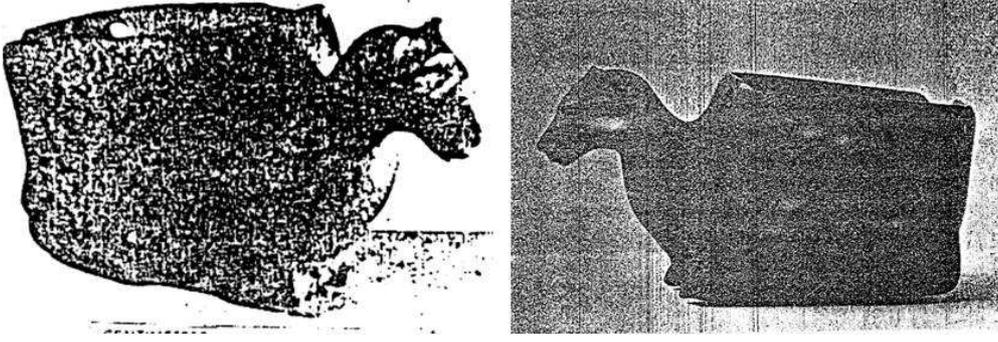
اللوحات



١- رأس جمل من الفخار من المعادي - عصر ما قبل الأسرات
Rizkana , I. and Seeher , J., Maadi III, pl. 1: 3,5.



٢- رأس جمل من العاج - مجموعة والتر آرت جاليري
Steindorff , G., Catalogue of Egyptian Sculpture in the Walter Art Gallery
, p.20 , pl. I:16



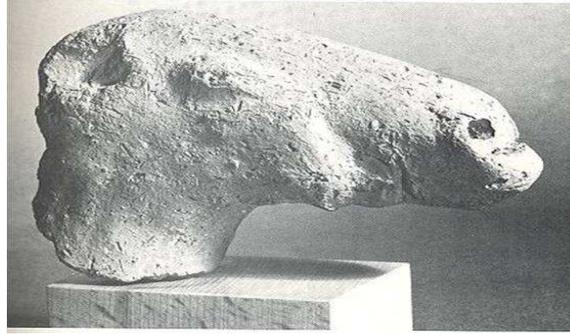
٣- إناء على هيئة الجمل من أبو صير الملق

Scharff , A., Das Vorgeschichtliche Gräberfeld von Abusir El-Meleq, Taf. 57-8; Grimm, A. und Schoske, S., Am Beginn Der Zeit, fig.82.



٤- رأس جمل من الفخار من معبد أبيدوس- متحف كلية الجامعة بلندن

Petrie ,F., Abydos II, pl.X:224.



٥- رأس جمل من الفخار من معبد هيراكنبوليس- المتحف الأشمولي

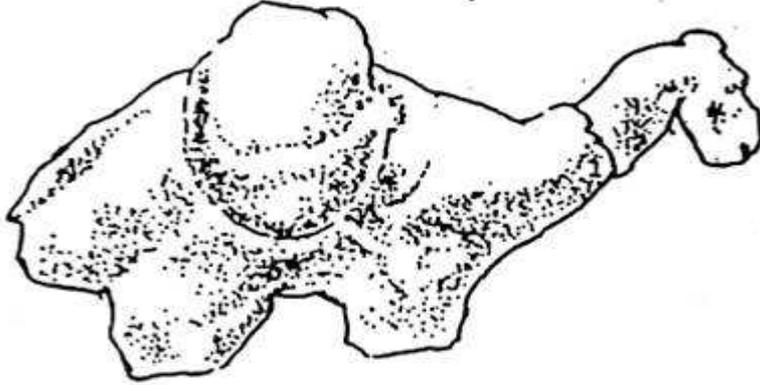
Midant-Reynes, B. and Braunstein-Slvester, F., Le Chameau en Égypte, pl.XXV:2.



٦- رجل يقود جمل على صخرة بالقرب من أسوان
Ripinsky, M., The Camel in Dynastic Egypt, fig.2.



٧- تمثال جمل من الحجر من المعبد المصري في أبيدوس
Montet, P., Byblos et l'Egypte, pl.52:179.



٨- تمثال جمل من الفخار من ريفا
Petrie, F., Gizeh and Rifeh, pl. 27.



٩- تمثال جمل من الفخار المزجج بالمتحف المصري CG 3830
Von Bissing, Zur Geschichte des Kamels, fig. p.68.



١٠- الجمل مع مجموعة حيوانات على قرص حجري
Daressy, G., A Travers les Koms du Delta, fig.9.



١١- جمل يحمل ستة أواني بالمتحف البريطاني - العصر الروماني
Rostovtzeff, The Social and Economic History of The Roman Empire I,
pl.LIII:4.



١٢- جمل يحمل سلتي عنب بمجموعة Fouquet - العصر الروماني
Rostovtzeff, The Social and Economic History of The Roman Empire I,
pl.LIII:3.



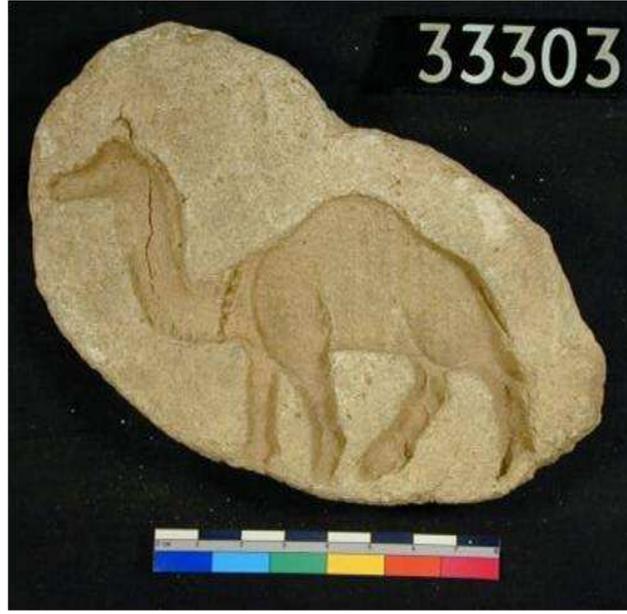
١٣- جمل من الفخار بمتحف كلية الجامعة بلندن UC 48026
<http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/ostraka/uc62835.html>



١٤- جمل من الفخار بمتحف كلية الجامعة بلندن UC 48033
<http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/ostraka/uc62835.html>



١٥- جمل من الفخار بالمتحف اليوناني الروماني P.10778
<http://antiquities.bibalex.org/Collection/Detail.aspx?lang=en&a=324>



١٦- هيئة جمل يسير على قطعة من الجص بمتحف كلية الجامعة بلندن
<http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/ostraka/uc62835.html>



١٧- قنينة بمتحف كلية الجامعة بلندن uc 19516
<http://www.digitalegypt.ucl.ac.uk/ostraka/uc62835.html>